الخطب المنبرية

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمد هشام طاهري

(حفظه الله تعالى)

خطبة الجمعة بعنوان

من بيده أزمة الأمور

بتاريخ/ ٢٦ رجب ١٤٤٤هـ الموافق/ ١٧- ٢- ٢٠٢٣

خطبة الجمعة

((من بيده أزمة الأمور))

الحمد لله الذي بيده أزِمَّة الأمور أحمده سبحانه ما من شيءٍ إلا وملكه وتصرفه بين يديه وهو العزيز الغفور وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صل الله عليه وعلىٰ آله وصحبه ومن سار علىٰ نهجه واقتفىٰ أثره إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

أوصيكم ونفسي بتقوىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]

وا عجبًا من أناسٍ يركبون قاطرةً أو طائرة فيثقون بقائدها وهو مثلهم بشرٌ يخطئ ويصيب يضعف وينسىٰ ثم بعد ذلك وهم في ملك الله وفي أرضه يتخبطون ظلمةً وقولًا وقيلا فيقولون ما لهذه الأمور تجري هكذا في هذه الدهور ونسوا أو تناسوا أو شغلهم إبليس وإذا بهم يقولون علىٰ وجه التدليس: لماذا يكون كذا ويكون كذا وكذا؟ لو كان هذا السؤال علىٰ وجه البحث عن الأمر الشرعي لكان مبرورا أما أن يكون انشغالًا وإشغالًا للناس بالأسباب حتىٰ يلهيهم عن التأمل في أمر الله وشأنه فهذا والله المذموم إذا كنا نستيقن ما أخبر الله عنه: ﴿قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨] فعلينا أن نكون متوكلين، متوكلين علىٰ الله جَلَّوَعَلَا نبذلُ ما أُمرنا به شرعًا ونبذلُ من الأسباب ما هو متاح قدرا ونجمع بين القدر فنعالجه بالشرع ونعلم أنه ما من مخالفةٍ

شرعية إلا وينتج عنه أمرٌ قدريٌ وقضاءٌ قدريٌ وما من قضاءٍ وقدرٍ كونيٍ إلا وفيه حكمٌ شرعية يعلمها من يعلمها ويجهلها من يجهلها فيبتلي الأنبياء والمرسلين ليرفع مقاماتهم عنده بما يشاء ويبتلي الفسقة والفاجرين لعلهم أن يتوبوا ففي ذلك الابتلاء للمتقين حِكم وفي هذا الابتلاء للفاجرين والكافرين حِكم وكل شيءٍ في الكون بحكمة: ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩﴾ [المزمل: ٩]

فوض الأمور إليه بعد أن تبذل الأمر الشرعي وتعلم أن مسالك الصالحين التوكل علىٰ رب العالمين وأعلىٰ مدارج السالكين قائمٌ علىٰ التوكل علىٰ رب العالمين: ﴿وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧﴾ [يوسف: ٦٧] إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جعل التوكل عليه واعتقاد أن أزِمَّة الأمور بين يديه من أُس الإيمان وأصله حتىٰ قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٢٢﴾ [آل عمران: ١٢٢] وقرنه علىٰ وجه التخصيص بالعبادة والتوكل عبادة فقال: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾ [هود: ١٢٣]

بل إن التوكل عليه أمرٌ من الأنبياء فهذا موسىٰ كليم الله يقول لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ٨٤﴾ [يونس: ٨٤]

وهم في العذاب الشديد وفي البلاء العظيم يُقتِّل أبنائهم ويستحيِ نسائهم فلما خرجوا إذا البحر أمامهم والعدو من خلفهم ومن ورائهم وإذا بموسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ يقول: ﴿فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ٨٤﴾ [يونس: ٨٤] بذلوا ما أمروا به شرعًا وفوضوا الأمور الباقية إلىٰ الله قدرًا وقلوبهم معلقةٌ بالله لا بالأسباب التي إن شاء الله أن تكون نتائجها كانت وإلا أضمحلت وزالت فماذا قال قوم موسىٰ لموسىٰ حينما قال لهم: ﴿فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ٨٤﴾؟ ﴿فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٥﴾

ماذا كانت النتيجة؟ ﴿أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ٦٣﴾ [الشعراء: ٦٣] جعل الله الأمور مبنيةً علىٰ الأسباب ومن خلق الأسباب يغيرها وهو الكريم الوهاب جل في علاه.

أيها المؤمنون:

توكلوا علىٰ الله في كل أمرٍ وفي كل صغيرة لا يقولن أحدٌ كيف سأموت؟ فالموت حقٌ لا مفر منه، ولكن لنقل علىٰ ماذا نموت أنموت علىٰ الاستقامة والطاعة؟

أنموت علىٰ العبادة والذكر أم علىٰ الغفلة؟

أنموت علىٰ ما يحبه ربنا أم علىٰ ما يبغضه ربنا؟

أنموت وهو راضٍ عنا أم لا؟

ليس الشأن كيف تموت فما من إنسانٍ إلا وهو يموت، ولكن الشأن علىٰ ماذا تموت؟

أي عباد الله:

إن الله جَلَّوَعَلَا يبتلي عباده بالصلاة وهي عبادةٌ ظاهرية ويبتلي عباده بالتوكل وهي عبادةٌ قلبية ولهذا جعل النبي ﷺ الجنة بغير حساب لمن كمل التوكل علىٰ الوهاب فقال ﷺ: يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب فلما سألوا من هم؟ قال: هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلىٰ ربهم يتوكلون.

لا يسترقون: أي لا يطلبون الرقىٰ الجاهلية فيذهب عند دجالٍ يزعم أنه يرقي بكتاب الله لا يسترقون أي لا يطلبون الرقية قبل وجود سببها يذهب إلىٰ الطبيب يقول يا طبيب

أعطني دواءً قبل أن يأتيني مرض كذا وكذا لا يسترقون أي لا يطلبون الرقية قبل وجود داعيه.

ولا يتطيرون: أي لا يتشاءمون لعلمهم بأن الأمور معلقةٌ بالأسباب القدرية لا بالأوهام والخيالات حتىٰ يقولوا في الصحف والمجلات: إن الغربان تتطاير ما لها والناس يقولون: خير يا طير وأي خيرٍ يكون عند الطير!

أين التوكل علىٰ الله؟

أين التوكل علىٰ من بيده ملكوت كل شيء؟ حتىٰ ينظر الناس ويغفلون عن الخالق بالنظر أجلكم الله إلىٰ الكلاب وإلىٰ الطيور وإلىٰ الغربان ويقولون إنها تدل علىٰ شيء لا إله إلا الله أين التوكل علىٰ الله!

ولا يكتوون: أي قبل وجود سببه وجماع ذلك كله وعلىٰ ربهم يتوكلون" [رواه البخاري ومسلمٌ بنحوه]

التوكل عباد الله من أعظم أسباب الخروج من المصائب من أعظم أسباب الخروج من المصائب التوكل علىٰ الله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق: ٢-٣] يقول عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: سمعت نبي الله ﷺ يقول: لو أنكم تتوكلون علىٰ الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصًا أي جياعًا وتروح بطانًا أي ترجع بطانًا لا تخزن ولا تجمع" [رواه أحمد والترمذي وصححه]

وقد عنىٰ سلف الأمة بالتوكل علىٰ الله فقال بن عباس: لو أطبقت السماوات علىٰ الأرض لجعل الله للمتقين من ذلك مخرجا يقول سعيد بن جبير: التوكل علىٰ الله جماع الإيمان

وقال الحسن البصري: أفضل العلم الورع والتوكل، وجاء رجلٌ إلىٰ وهب بن منبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: علمني شيئًا ينفعني الله به قال: أكثر من ذكر الموت وأقصر أملك وخصلةٌ ثالثة إن أنت أصبتها بلغت الغاية القصوىٰ وظفرت بالعبادة قال: ما هي؟ قال: التوكل.

أي عباد الله:

حقيقة التوكل أنه عبادةٌ مركبة أولها معرفة الله عَزَّوَجَلَّ وأنه ﴿بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [يس: ٨٣]

ثانيها: رسوخ التوحيد في القلب.

ثالثها: اعتماد القلب علىٰ خالق الأسباب لا علىٰ الأسباب.

أرأيتم إنسانًا يأكل ويشرب فيقول: شكرًا يا يدي لأنك ناولتني الطعام أو شكرًا يا معدتي لأنك هضمت الطعام؟ أم يقول: لك الحمد ولك الشكر يا رب أن أوجدت لي يدًا ناولت به الطعام ومعدةً هضمت به الطعام، إذا كان الأمر كذلك في الأمور اليسيرة فكيف بالأمور الكبيرة! كل ذلك بيد الله جَلَّوَعَلَا.

رابعها: تفويض الأمور إلىٰ الله.

خامسها: إثبات الأسباب التي قدرها الله وليست الأسباب الوهمية التي يتخيلها أهل الدنيا فيقولون: صار الفيضان بسبب كذا وكذا وصارت الزلازل بسبب كذا وكذا ويغفلون أن هذه الأسباب لماذا تكون؟ لأن الله أرادها.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه فيا فوز المستغفرين.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده وأشهد أن لا إله إلا الله وحده وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صل الله عليه وعلىٰ آله وصحبه ومن سار علىٰ نهجه واقتفىٰ أثره إلىٰ يوم الدين.

أما بعد عباد الله:

إن تحقيق التوكل علىٰ الله هو تفويض الأمر إلىٰ من بيده أزمة الأمور والاستسلام لحكمه وقضاءه فكما تنقاض وتستسلم أنه خلقك بهذه الصورة وتعلم أنك لا تستطيع أن تغير فيجب عليك إذا ما حصل أمرٌ أن تستسلم وتنقاض بذلت الأمر الشرعي والأمر القدري بعد ذلك إذا وقع ما وقع فتقول: قدَر الله وما شاء فعل أو قدَّر الله وما شاء فعل ولا تغفلن سببًا فإن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول: لا تعجزن ، أي عن فعل الأسباب، فإن وقع شيءٌ فقل قدر الله وما شاء فعل وربنا يقول: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠] فما نهانا عن بذل الأسباب بل أمرنا ببذل الأسباب لكن قبل بذل السبب فليكن قلبك معلقًا بخالق الأسباب جَلَّ وَعَلَا

عن أنسٍ بن مالكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رجلٌ: يا رسول الله أعقلها وأتوكل؟ [أي أربط دابتي وأتوكل علىٰ الله] أم قال الرجل: أم أطلقها وأتوكل؟ [أتركها هكذا] فقال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: أعقلها وتوكل" [رواه الترمذي وحسنه الألباني]

سئِل الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن رجلٍ جلس في بيته أو في المسجد فقال: لا أعمل شيئًا حتىٰ يأتيني رزقي فقال: هذا رجلٌ جهل العلم وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يتجرون ويعملون في نخيلهم والقدوة بهم وسأل رجلٌ الفضيل بن عياض فقال: لو أن

رجلًا قعد في بيته وزعم أنه يثق بالله فيأتيه برزقه فقال الفضيل: لم يفعل هذا الأنبياء ولا غيرهم.

وكان النبي ﷺ آجر نفسه وأبو بكرٍ وعمر ولم يقولوا: نقعد حتىٰ يرزقنا الله عَزَّوَجَلَّ ومع ذلك كله فلا يجوز للإنسان أن يعتمد علىٰ الأسباب أو يركن إليها فإن من تمام التوكل قطع العلائق عن الخلائق والله لا تبلغ حق التوكل حتىٰ تقطع العلائق عن الخلائق فتعلم أنه لا أحد يقطع عليك رزقًا وبهذا تعلم خطأ الناس فلان قطع رزقي من يستطيع أن يقطع رزقك! ما هو إلا سبب لا يمكن لأحد أن يقطع رزقك ولا أن يقطع أجلك فالرزق معلوم والأجل محتوم: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]

اللهم أحفظنا بالإسلام قائمين وأحفظنا بالإسلام قاعدين وأحفظنا بالإسلام راقدين ولا تشمت بنا عدوًا ولا حاسدًا يا رب العالمين، اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئًا ونحن نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه، اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل الإيمان ويذل فيه أهل الشرك والكفران ويهدىٰ فيه أهل العصيان، اللهم وفق أمير البلاد وولي عهده لهداك وأجعل أعمالهما في طاعتك ورضاك، اللهم أجعل الكويت آمنة مطمئنة سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين، اللهم أغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنك سميعٌ قريبٌ مجيب الدعوات.